تهجم غير مبرر على المؤرخ الحجازي عاتق بن غيث البلادي رحمه الله
وهذه الكتابة هي محاولة التقليل من مكانته أو اسقاطه ...لكن هيهات
http://cutt.us/hIlmC

ملحوظات على نهاية الدرب في نسب حرب، للبلادي

السلام عليكم ورحمة الله

لقد اطلعت على كتاب الاستاذ عاتق البلادي المعنون بـ (نهاية الدرب في نسب حرب)، وهو استدراكات وذيل ومناقشات على كتابه (نسب حرب)،ويحتوي على مجموعةٍ من رسائل القراء وبعض الباحثين وتعقيباتهم واستدراكاتهم على الكتاب المذكور وقد علق البلادي تعليقات بسيطة على بعضٍ من تلك الرسائل، وهذا الكتاب يعد سابقة تحسب للبلادي يتضح منها اهتمامه برسائل القراء ومتابعي إنتاجه الفكري حيث أخرجها في كتاب مستقل، إلا أن مما يؤخذ عليه هو قسوته في الردود أحياناً على مخالفيه إلى حد السخرية منهم مثل ما فعل مع الأستاذ مساعد البهيمة وغيره. وكذلك نشره لرسائل شخصية قد لا يرغ أصحابها في نشرها. وغالب تلك الرسائل عبارة عن معلومات عن قبيلة المرسل وتاريخها إلا أنها ـ في رأيي ـ لا تحمل إلا رأي الشخص المرسل وقد يكون لدى أبناء القبيلة الآخرين ما يعارض تلك المعلومات أو بعضها، ومن خلال قراءتي لذلك الكتاب سجلت بعض الملحوظات خصوصا على تعليقات البلادي على رسائل الباحث فائز البدراني، وهي كالتالي :

قال البلادي في الصفحة رقم ٩: (جاء ذكر حرب البنت التي يرويها أهل كلية ودوران وكأنها وقعت وهم يرونها، ذلك أنها حسب رواياتهم وقعت في ديارهم...الخ).

أقول: إن قوة قبيلة حرب وانتصاراتها التي سجلها الهمداني وغيره ونقلها عنه البلادي وآمن بها كل ذلك يؤكد أن قبيلة حرب ليست ضعيفة ولم تضعف إلى درجة أنها تدفع الشاة لقبيلة أخرى، وتلك الروايات الضعيفة والمتضاربة والتي يؤمن بها البلادي يوجد بها مطاعن كثيرة، وقد أحسن الباحث فائز البدراني بالرد عليها وتفنيدها وبيان ضعفها وعدم مصداقيتها وذلك بكتاباته التي لا تخفى على البلادي؛ إلا إذا كان الأمر كما يقول البلادي نفسه....(:والبغضاء تريك عمل المبغض قبيحاً ولو كان مليحاً)،كما أن تلك الروايات لا يوجد لها أي أثر لدى الطرف الآخر والذي من المفترض أن يكون أكثر اهتماما بها لأنها في صالحة، ومما يضعف تلك الروايات أنها تكاد تكون نُسخ محورة من قصص مشابهة وردت في أساطير كثير من الشعوب؛ فضلا عن أنها تناقض ما أورده البلادي نفسه عن قوة حرب ومصاهرتها لآل البيت وتحالفها معهم، الذي نقله عن المصادر التاريخية التي أقدم من أصحاب تلك الروايات العامية..

في الصفحة رقم ١٠ قال البلادي :(...إذا لم يدون من تاريخنا إلا ما وجدناه في المراجع التي ما كان مؤلفوها يستطيعون أن يتجاوزا حدود الحرم، فمن أين دونا أخبار عاد وثمود، وطسم وجديس، ومن أين عرفنا أخبار مضر وخزاعة؟ وحرب داحس والغبراء؟ وحرب البسوس؟).

أقول: أولاً بعض تلك الأخبار (عاد وثمود) وردت في القرآن الكريم وبعضها حدثنا عنه الرسول ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى، إلا إذا كان البلادي يرى أن الآيات والأحاديث بمنزلة أقاويل العوام؟.!، والبعض الآخر منها سوف يأتي الحديث عنه. أما أخبار مضر وخزاعة وداحس الوالغبراء والبسوس فقد وصلتنا عن طريق كتب التراث العربي، ولم تصلنا عن عوام يحتسون القهوة ويتسامرون في مجالس كلية ودوران ويروون أخبار القرون الأولى دون أن يعرفوا اسم كتاب واحد من كتب التراث والتاريخ.. وقد أخبرني الباحث البدراني أنه عندما زار أولئك الرواة وجد أنهم لا يعرفون إلا القليل عن أخبار الثورة العربية، ولا يستطيعون تعداد أسماء من قتل من جماعتهم في تلك الحوادث أو في حوادث دخول الإخوان للحجاز؛ مع أن أخبار مالك بن رومي أقدم من ذلك بما يقارب عشرة قرون!!

ثانيا: بالرغم من أن اعتراض البلادي واحتجاجه بتلك الحوادث لا يستقيم عقلاً ولا منطقا، ولا يعد حجة، إلا أنني أقول: إن بعض تلك الحوادث لم تخلو منها كتب التاريخ وكتب الأدب العربي القديمة وقد كُتب أكثرها في فترات متقدمة لا تقارن بالفترة التي بين تدوين البلادي لما سمعه وبين تلك الحرب المزعومة كما أن أشعار العرب الأوائل قد سجلت بعضاً من تلك الحوادث، ومع ذلك فالظاهر أن كل ما سجل عن تلك الحوادث عناوين رئيسة لم تتوغل في التفاصيل كما يتوغل أولئك العوام الذين ينقل عنهم البلادي ويطرب لرواياتهم كثيرا ولم نسمع لها تفاصيل مملة إلا في عهد سيطرة الحكواتي الذي يتحلق حوله الناس ويضيف على تلك الأحداث ما يعتقد أنه يجذب الناس إليه ويميزه عن غيره، أو في عهد كتّاب المسلسلات التاريخية وعقلية (هذا ما يريده المخرج) .ثم يواصل البلادي تساؤلاته قائلاً : (....بل من أين دَوّنا غزوات رسول الله ﷺ؟ وفتح الشام ومصر والعراق واليمن؟ أليس كل ذلك كان محفوظاً في قلوب الرجال أيها الفدم؟)..

أقول: إن تلك الأخبار دونت في زمن مبكر وقريب من حدوثها، ودونها علماء المسلمون وليس عوامهم، وكانت منهجيتهم علمية بحتة لا تدون الخبر حتى تشبعه بحثا وتقصيا و تنقده نقدا موضوعيا محايدا، بل كانوا يروون الخبر بسند الرواة إمعانا في الأمانة. وكتب الحديث والسير تشهد على ذلك وعلى مدى اجتهاد كتابها في تحقيق تلك الأحاديث والروايات والتأكد من صحتها. كما أن تلك الأخبار قد رويت عن الصحابة وكبار التابعين وأجلاء المتقدمين وفضلائهم وليس العوام الذي يروون أحداثاً بينهم وبينها . إذا صحت . من الأزمان ما الله به عليم ثم يأخذها عنهم البلادي على علاتها دون تمحيص وتحقيق .

في الصفحة نفسها قال البلادي.(ولكن الحسد يعمي ويصم، والحاسد لا يرضيه إلا زوال نعمة المحسود! والحسد يورث البغضاء، والبغضاء تريك عمل المبغض قبيحاً ولو كان مليحاً).

أقول: ليت أن البلادي نقل لنا فقرات من تلك الكتابات التي يقول أنها تدل على الحسد والبغض لنرى هل

هي كذلك أم أنها ملحوظات كتبت بأسلوب علمي رفيع، بعيد كل البعد عن أسلوب المهاترات والغمز واللمز والتجريح والتوبيخ والسخرية الذي يجيده المتعصب الأعمى لرأيه، والمتحامل على غيره!

بل إنني على يقين من أن البلادي لا يستطيع إثبات ذلك.

ثم أين الحسد والبدراني يثني على ريادة البلادي وجهوده في كل مناسبة، ومن ذلك ما كتبه في جريدة الجزيرة في ١٤٢٣/٢/١٩هـ من ثناء على البلادي بمناسبة تكريمه من قبل جائزة أمين مدني.. ومن آخر ذلك إهداؤه كتابه: أعلام تشرفت بالحديث عنهم، الصادر عام ١٤٣٠هـ إلى كل من حمد الجاسر والبلادي ..

ثم إنني أتساءل وأقول ليت شعري من المحسود؟ وعلام يحسد؟ وهل صاحب البضاعة الجيدة يحسد صاحب البضاعة الأقل جودة؟!

وفي الصفحة ١١ قال البلادي . وأظنه يتكلم عن البدراني :(...هو رد بقوله المتقدم على ثناء الأحيوي على كتاب نسب حرب، فاحترق قلبه وتراعدت فرائصه...).

أقول إن من يعرف البدراني حق المعرفة لا يشك بأنه أكبر وأسمى من أن يحترق قلبه لحقد أو لحسد، ومن يعرف مؤلفاته حق المعرفة لا يشك بأنه غني عن أن ينظر إلى ما دونها من المؤلفات .

وفي الصفحة نفسها قال البلادي: (وفي النهاية في اعتقادي أن نسب حرب سيظل يقرأ ما شاء الله، وإن اعتراض هذا العبقري سيظل أضحوكة لكل من قرأه، فهنيئاً لنا كل امريء يأكل زاده .)..

أقول: أولا: جميل أن البلادي قال في اعتقادي لأن اعتقاده شيء والواقع شيء آخر.

ثانيا: كتاب نسب حرب - في رأيي - لا يؤخذ منه إلا ما ينقله الكاتب عن الهمداني وبعض الأخبار والروايات القليلة الأخرى، والدليل على ذلك رسائل التعقيب والاستدراكات التي يستقبلها بريد البلادي صباح مساء منذ أكثر من ثلاثين عاماً، ومنها كانت مادة كتابه هذا) نهاية الدرب في نسب حرب (وبالمناسبة فقد أحسن البلادي إذ توقف عند نهاية الدرب ليستريح تاركاً الدرب لمن يملك مقومات المسير عليه، ولله الحمد فقد ظهر من أبناء القبيلة من اهتموا بتاريخها الموثق والمشرف بعيداً عن الأساطير والأوهام التي يطرب لها العوام كثيراً وينقلها عنهم أشباههم.

ثالثا: ليس من شيم أهل العلم اللجوء إلى كلمات السخرية والاستهزاء.

رابعا: عن ذلك الزاد أقول له ولكل من يرى زاده كما يراه :

أعيذها نظرات منك صادقة ــ أن تحسب الشحم في من شحمه ورَمُ

في الصفحة رقم ١٢ قال وهو يقصد البدراني: (عترض ذلك الفدم على اسم العسوم، وقال: إنما هم بنو رومي.. اعتراضك هذا من السفه حتى القبائل الحية الموجودة بيننا تجحدها؟...إلخ).

أقول: لم يعترض البدراني على ذلك الاسم بل إنه نقل أخبارهم وأيامهم مع حكام مكة المشرفة والتي دونها مؤرخو تلك الفترة وكانوا يسمونهم (ذوو رومي)، وفي القرون المتأخرة صار يقال لهم العسوم (ابن عسم)، واشتهر فيهم هذا الاسم؛ فأصبحوا لا يعرفون اليوم إلا به، وربما أن وجود شيخ باسم (رومي بن عسم) قد سبب لبساً لدى العوام حيث اعتقدوا أن هذا اسم رومي الأول الذي تحدث البدراني عن أبنائه وبعض أخبارهم مع أشراف مكة، ورومي بن عسم هذا كان شيخا لزبيد في بداية القرن الثالث عشر الهجري، حيث ورد اسمه في إحدى الوثائق معطياً ورقة إعلان الجناة على إحدى القبائل المجاورة. - انظر كتاب وثائق وادي الفرع ج٢ ص ١٥٥٣ - وبهذا يتضح أن البدراني لم يجحدهم، ولم يجعل الأسرة أسرتين، أسرة بائدة، وأخرى حاضرة موجودة بيننا،

ولكن تحامل البلادي وتعصبه لرأيه فوّت عليه فهم عبارات البدراني والتي لا يجد أقل الناس علماً صعوبة في فهمها:

وكم من عائب قولاً صحيحاً ـ وآفته من الفهم السقيم

في الصفحة رقم ١٤ قال البلادي وهو يتكلم عن البدراني :(...أما ذلك الفاهم الذي ناقشنا اعتراضاته فيما تقدم فقد كان دافع عن) نسب حرب (رداً على البهيمة وأرسل الرسالة التالية مرفق بها رده، فما الذي غير رأيه، إذا كان فكره نيراً متزناً).

أقول: حيرني البلادي بقوله هذا! هل يعتقد أن كلامه قرآن منزل يؤخذ كله دون نقاش ولا جدال أم أنه ينتظر من البدراني أن يمدح كتابه ويثني عليه ثناء مطلقاً دون استدراك أو إبداء للملحوظات؟ أو ينتظر منه أن يعترض على الكتاب جملة وتفصيلا؟ إن هذا الشيء لا يفعله إلا من ينظر بعين واحدة ويتعامى عن الإيجابيات ويبحث عن السلبيات لوحدها أو الإيجابيات لوحدها، وليست هذه من شيم أهل العدل والإنصاف.

فإذا كان البدراني جاهلاً إلى درجة تجريده من حقه بإبداء الرأي؛ فكيف يقول عنه قبل سطر ونصف) :الباحث الرصين والمنقب الموفق .(أم أنه ينتظر من البدراني ثناءً مطلقاً أو قدحاً مطلقاً؟ أم أن هناك معايير لذلك لا يعرفها إلا البلادي؟! أم أن الهوى سيد الموقف؟!

وفي الصفحة نفسها قال عن الروقة أحد فروع البلادية(:وأصلهم ثابت في عتيبة، قال ابن عمي خلف وكانت أمه روقية من هؤلاء: حدثه جده لأمه بذلك..).

اقول: قال علماء النسب: (تشابه الأسماء مدعاة للخلط في الأنساب).. فهل بحث البلادي عن روايات أخرى

وحاول أن يتحقق من ذلك النسب من خلال الوثائق، أم أنه اكتفى برواية شخص واحد قد يكون لدى أبناء قبيلته ما يخالف قوله. فمن الخطأ أن ينقل الباحث عن شخص واحد ويجعله وصياً على نسب قبيلة كاملة، ثم يدون كلامه ويبقى مصدراً للآخرين.

في الصفحة رقم ١٠٦ قال البلادي وهو يعقب على أحد القراء الذي تطرق إلى مآثر الشيخ سعَيّد الذكري رحمه الله...) :أما الغزو الذي يزوج العزاب منه فنسأل الله أن لا يعود، وليتها لم تسرق ولم تتصدق .(... أقول: أما دعوته فلا أملك إلا أن أقول آمين، أما قوله ليتها لم تسرق ولم تتصدق؛ فأقول: إن العرب في ذلك الوقت لديهم من الشرف والشيم العربية ما يردعهم عن السرقة وليس السرقة كالغزو؛ إلا إذا كان البلادي لا يفرق بين الأمرين. والغازي والمغزي عليه لا يرون ذلك عيباً وكانوا يسمونه (وضح النقاء)، ويمقتون الغدر والخيانة ومغافلة الخصم، ولا يعني ذلك أنني أؤيد تلك الفوضى السائدة ولكنني ضد محاكمتهم وفق معايير ومعطيات زمننا الحاضر .

في الصفحة رقم ١١١ قال البلادي وهو يعقب على إحدى رسائل البدراني...(:والحقيقة أنه لا وقت لدي للمناقشة خاصة وأنني جربتها في أول ممارستي الكتابة فوجدتها بنيات الطريق، وليست الجادة كبنياتها، لذا فقد طلقتها منذ زمن....) .

أقول: لقد طلقتها وأنت الخاسر فبانت غير آسفة على فراق.

ولعلنا نلحظ أن البلادي قد تكبر وتعالى حتى على النقاشات والحوارات العلمية الهادفة، وربما أنه يجهل أن العالم لا يزال عالماً ما طلب العلم فإن قال علمت فقد جهل، فلماذا لا يدخل النقاش مستحضراً قوله تعالى: (وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين)، ليكون الحوار رحلة مشتركة للبحث عن الحقيقة .

قال في الصفحة رقم ١٢ قال ما نصه :(....إن مؤرخي مكة والمدينة لا يلقون بالاً لغير الحوادث الرسمية أي التي تهم الدولة والشريف، ولم يسجلوا حدثاً واحداً خارجاً عن هذا النطاق، ثم أراك تقول لم تذكر المصادر التاريخية ...إلخ. وأنا أشفق عليك من هذا)...

أقول: جميلُ هذا الكلام، ولكن ما هو البديل في نظر البلادي، هل هو تلك الروايات الضعيفة والمتضاربة والتي يزعم أصحابها بأنها وقعت قبل عدة قرون وثبت خطأ كثير منها وربما تجد أحدهم لا يعرف اسم جده السادس أو السابع؟ و هل هو أخذ البلادي لتلك الروايات على علاتها دون تمحيص وتحقيق ودون مقابلة أكثر عدد ممكن من الرواة في عدة مناطق و من قبائل مختلفة؟ وهذا ما لا يستطيعه الكاتب المتقوقع داخل مجتمعه الصغير متعالياً على البحث والتنقيب أو حتى على مجرد النقاش ويسميه بنيات الطريق.

وفي الصفحة نفسها يقول...(:غير أني أراهن أنه لن يكتب كاتب عن حرب أو ينسب نساب إلا ويمر على) نسب حرب..... إلخ.)

أقول: أشك في ذلك إلا إذا كان المرور للمقارنة، وحمداً لله على وجود البديل الصالح فبضدها تتميز الأشياء، ثم أن تلك المراهنة أصبحت خاسرة في زمن البحث العلمي زمن التوثيق والتحقيق، فأصبحت بضاعة العوام وأصحابهم كاسدة منتهية الصلاحية، والحمدلله رب العالمين .

مُحَّد بن سعود بن زايد البيضاني

٢٦th Sep ٢٠٠٩,

١٢:٤٤

http://www.albeedhan.com/vb/showthread.php?t=١٨٩٨